موشيه دايان

صوت القتل من غزة!

[خطاب رئيس هيئة أركان الجيش موشيه دايان في تأبين روعي روطبرغ الذي قتل يوم ١٩٥٦/٤/٢٩]

تمهيد

استمراراً لما بدأنا به في الأعداد السابقة من "قضايا إسرائيلية"، والتي قمنا خلالها بنشر رسائل وخطابات ووثائق تاريخية وضعناها في خانة "من الأرشيف"، نورد في هذا العدد خطاب رئيس هيئة أركان الجيش موشيه دايان، الذي ألقاه في ١ أيار ١٩٥٦ في تأبين الإسرائيلي روعي روطبرغ، والذي قتل في عملية قام بها فدائي فلسطيني من غزة يوم ١٩٥٦/٤/٢٩.

يعتبر هذا الخطاب القصير والمكثف والذي لا تزيد عدد كلماته في الأصل العبري عن ٢٥٠ كلمة، واحداً من أمهات الخطابات الصهيونية المؤسسة، ليس فقط في ثقافة المؤسسة العسكرية، بل الثقافة الاجتماعية الإسرائيلية العامة والمهيمنة.

ويؤكد عالم الاجتماع الإسرائيلي باروخ كيمرلينغ (١٩٣٩–٢٠٠٧) أن خطاب دايان هذا يشكل "شيفرة عليا" لفهم المجتمع الإسرائيلي.[١] ويعدد كيمرلينغ سبع شيفرات فرعية بعضها مُتضمن وبعضها واضح في الخطاب، جعلت منه ليس فقط "خطابا لا ينسى" بل أيضا مدخلا إلزاميا لفهم المجتمع الإسرائيلي، حيث تطل الأنا الجمعية الإسرائيلية من خلال الشيفرات التالية التي عرضها كيمرلينغ (١٩٩٣):

١. نحن دولة مهاجرين– مستوطنين ومجرد وجودها في المنطقة ليس مضمونا ولا مفهوما ضمنا.
٢. " العرب" كلهم عبارة عن كتله متشابهة لا يوجد فيها تمايزات وهم يكرهوننا وبحق من جانبهم.
٣. هذا وضع لا مفر منه، هذا "قدرنا" وليست لنا أية سيطرة عليه، وكل ما يمكننا القيام به هو أن نُؤمن "وجودنا".

(١) باروخ كيمرلينغ، ١٩٩٣، "العسكرة في المجتمع الإسرائيلي"، ص ١٢٣ .

٤. هذا الوجود يتم تأمينه بقبضة اليد والسيف فقط، من هنا فإنه في حال انسل السيف من قبضتنا فإن حياتنا تقطع.

٥. كل الأهداف الاجتماعية العامة تُبتلع بالضرورة في لب الهدف الأكبر ألا وهو تثبيت إقامة الوجود (أو كما قيل في فرص أخرى لا يمكن أن يتم رفع اكثر من راية في ذات الوقت– علم الأمن مقابل علم الرفاه وباقي القضايا الاجتماعية).

٦. لقد فرض علينا ان نكون مجتمعا مُجندا، أي حتى ونحن نقوم بغرس شجرة وبناء بيت، علينا أن نقبض على الرمح (وفي تفسير آخر البيت والشجرة هم جزء من الرمح).

٧. علينا أن نتقبل سقوط الضحايا التي نضحي بها من أجل وجودنا كشأن مفهوم ضمنا (وكذلك بالطبع كل الأثمان المرتبطة بذلك في مجالات أخرى).

ورغم مرور ما يقارب ستة عقود على خطاب دايان المذكور، إلا ان ما تضمنه من لُبنات قيمية مؤسسة ما زالت فاعلة ومركزية حتى يومنا، وهو ما يبدو جليا في الثقافة السياسية المهيمنة وفي تقديس القوة وصرف المبالغ الطائلة على الوسائل الدفاعية والقتالية بما في ذلك بناء جدار الفصل وتطوير منظومة القبة الحديدية، ناهيك عن تكرار الحديث عن الإصرار على الاعتراف بيهودية الدولة وما يرافقه من تصريحات بأن العرب لا يوافقون على هذا الاعتراف لأنهم لا يقبلون بشرعية الوجود اليهودي في فلسطين.

ما زالت إسرائيل تعتبر أن معركتها معركة بقاء وأن وجودها يجب أن يؤمن دائما وأبداً بقوة "سيفها" وأن عليها ألا تضع ثقتها في هذا الإطار بأي جهة كانت، مهما أبدت من تعاطف واحتضان تجاهها مثلما تفعل الولايات المتحدة على سبيل المثال لا الحصر . كما ان العقيدة الأمنية ما زالت ترى ان ما لم يتحقق بالقوة سيتحقق بمزيد من القوة، وأن العربي لا يفهم إلا هذه اللغة. ورغم قوة إسرائيل العسكرية الهائلة، إلا أن قادة إسرائيل ما زالوا منذ عقود يكررون أنهم يعيشون على وقع تهديد "الخطر الوجودي الدائم" وإن تغيرت مصادره من تهديد الجيوش العربية بداية إلى تهديدات المقاومة الفلسطينية لاحقا، مرورا بالمشروع النووي الإيراني الحالي ووصولا الى نزع الشرعية عن إسرائيل .

المهم أنه وكما يكتب كيمرلينغ عن خطاب دايان فإن كثيرا من قادة إسرائيل يعون أن العداء لهم ليس أمرا مستغربا، وهو ما يفسر ربما مقولة إيهود باراك :"علينا أن لا نرمش في مواجهة العدو لأننا إذا رمشنا سيقطع رأسنا"، وأن يقول في المقابل وفي إطار برنامج "مقابلة شخصية" مع غدعون ليفي "لو كنت فلسطينيا وفي الجيل الملائم، لانضممت في مرحلة ما لمنظمات المقاومة"،[٢]

علما أن باراك أوضح أن هذه المقولة ليست زلة لسان أو هفوة بل مقولة مقصودة، بل عاد وذكر (وبحق) أنه ليس أول من يقول ذلك بل سبقه إلى قول ذلك إسحق شامير وبن غوريون وموشيه دايان.

[هنيدة غانم]

خطاب موشيه دايان

أمس صباحا قُتل روعي. أبهره هدوء الصباح الربيعي فلم يرَ المتربصين بروحه على خط الثلم.

دعونا لا نرمي القتلة بالاتهامات. كيف لنا ادعاء كراهيتهم العميقة تجاهنا؟ ها هم يقيمون في مخيمات اللاجئين في غزة، منذ ثماني سنوات، فيما نحن نستولي، على مرأى منهم وأمام ناظريهم، على الأرض والقرى التي عاشوا فيها هم وآباؤهم ونحوّلها مُلكا لنا.

ليس من العرب الذين في غزة، بل من أنفسنا نحن، سنثأر لدم روعي. كيف أغمضنا أعيننا عن التبصر في مصيرنا وعن رؤية قَدَر جيلنا بمنتهى فظاعته؟ هل نسينا أن مجموعة الشبان هذه التي تجلس في "ناحال عوز" تحمل على كاهليها بوابات غزة الثقيلة؟

خلف ثلم الحدود يهيج بحر من الكراهية ورغبة الانتقام التي تتحين يوما يفتّ فيه الهدوء من جاهزيتنا، يوما نصغي فيه لسفراء التلون التنكيلي الذين يدعوننا إلى إلقاء سلاحنا.

لنا، ولنا فقط، تصرخ دماء روعي من جسده المشقق. على أننا نذرنا ألا يراق دمنا عبثا، بينما أغرينا أمس ثانية، أصغينا وصدّقنا.

حسابنا مع أنفسنا سنجرده اليوم، نحن جيل الاستيطان، ومن دون خوذة الفولاذ وفوهة المدفع لن نستطيع غرس شجرة أو بناء بيت. لن نرتدع عن رؤية العداء الذي يذكي ويملأ حيوات مئات الآلاف من العرب المقيمين حولنا. لن نشيح أبصارنا، لئلا تضعف يدنا. هذا هو قَدَر جيلنا. هذا هو خيار حياتنا – أن نكون مستعدين ومسلحين، أقوياء وأشداء، وإلا فسيسقط السيف من قبضتنا فتُجتَث حياتنا.

روعي الفتى الذي انطلق من تل أبيب لتشييد بيت له عند مشارف غزة ليكون سورا يحمينا، نور قلبه أعمى عينيه فلم ير وهج السكين. أصمّ الشغف بالسلام أذنيه فلم يسمع صوت القتل المتربص. أنزلوا بوابات غزة عن كتفيه فقدروا عليه.

١٩٥٦/٤/٣٠

[ترجمة خاصة بـ "قضايا إسرائيلية" عن اللغة العبرية. أعدها سليم سلامة]

(٢) أيضا في هآرتس، ٥ آذار ١٩٩٨، مقابلة مع غدعون ليفي.